مجلة جامعة تشرين – سلسلة العلوم الاقتصادية والقانونية

اسم المقال: منظمة تعاون شنغهاي كتحالف مناهض للولايات المتحدة الأمريكية
اسم الكاتب: د. عمر العبدالله، د. فادي خليل، فادي شمسين
رابط ثابت: https://political-encyclopedia.org/library/4421
تاريخ الاسترداد: 2025/05/17 10:27 +03

الموسوعة السياسيّة هي مبادرة أكاديمية غير هادفة للربح، تساعد الباحثين والطلاب على الوصول واستخدام وبناء مجموعات أوسع من المحتوى العلمي العربي في مجال علم السياسة واستخدامها في الأرشيف الرقمي الموثوق به لإغناء المحتوى العربي على الإنترنت.
لمزيد من المعلومات حول الموسوعة السياسيّة – Encyclopedia Political، يرجى التواصل على
info@political-encyclopedia.org

استخدامكم لأرشيف مكتبة الموسوعة السياسيّة – Encyclopedia Political يعني موافقتك على شروط وأحكام الاستخدام المتاحة على الموقع https://political-encyclopedia.org/terms-of-use

---

تم الحصول على هذا المقال من موقع مجلة جامعة تشرين – سلسلة العلوم الاقتصادية والقانونية – ورفده في مكتبة الموسوعة السياسيّة مستوفياً شروط حقوق الملكية الفكريّة ومتطلبات رخصة المشاع الإبداعي التي ينضوي المقال تحتها.

مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة العلوم الاقتصادية والقانونية المجلد (35) العدد (4) 2013
Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies -Economic and Legal Sciences Series Vol. (35) No. (4) 2013

منظمة تعاون شنغهاي كتحالف مناهض للولايات المتحدة الأمريكية

الدكتور عمر العبدالله*
الدكتور فادي خليل**
فادي شمسين***

(تاريخ الإيداع 5 / 12 / 2012. قُبِل للنشر في 15 / 7 / 2013)

□ ملخّص □

بالاستناد إلى نظرية توازن القوى، فإن القوى الدولية تميل إلى تشكيل التكتلات والاتحاد مع بعضها لمواجهة الهيمنة، ومن الطبيعي بعد ظهور الولايات المتحدة الأمريكية كقوة وحيدة مهيمنة على الشؤون الدولية أن تولد ردود فعل معاكسة من جانب القوى الدولية الأخرى لمواجهة هذه الهيمنة ومحاولة تطويقها.

لقد كانت روسيا والصين من أبرز القوى الدولية التي عملت على خلق مناخ دولي من أجل مواجهة محاولات ملء الفراغ الذي نجم عن تفكك الاتحاد السوفيتي من جانب الولايات المتحدة الأمريكية وبشكل خاص في جمهوريات آسيا الوسطى، ولذلك عملت على إنشاء تكتل إقليمي أطلقت عليه "منظمة تعاون شنغهاي".

هذه الدراسة سوف تدرس إمكانية أن تكون منظمة تعاون شنغهاي كتحالف قادر على الوقوف في وجه التمدد الأمريكي في جمهوريات آسيا الوسطى، وفيما إذا كانت هذه المنظمة قادرة أن تكون كقطب مواز لهيمنة الولايات المتحدة الأمريكية. إنّ النتائج النهائية لهذا البحث ستُظهر أنّ منظمة تعاون شنغهاي تحالف موجه من أجل منع التأثير الاقتصادي والسياسي للولايات المتحدة الأمريكية في جمهوريات الاتحاد السوفيتي السابق في آسيا الوسطى.

الكلمات المفتاحية : منظمة تعاون شنغهاي – آسيا الوسطى – توازن القوى.

* أستاذ مساعد – قسم العلاقات السياسية الدولية – كلية العلوم السياسية – جامعة دمشق – دمشق – سورية.
** مدرّس– قسم العلاقات السياسية الدولية – كلية العلوم السياسية – جامعة دمشق – دمشق – سورية .
*** طالب دكتوراه – قسم العلاقات السياسية الدولية – كلية العلوم السياسية – جامعة دمشق – دمشق – سورية .

مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة العلوم الاقتصادية والقانونية المجلد (35) العدد (4) 2013
Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies -Economic and Legal Sciences Series Vol. (35) No. (4) 2013

SHANGHAI COOPERATION ORGANIZATION AS A COUNTERBALANCE TO THE UNITED STATES

Dr. Omar Abed Allah*
Dr. Fadi kaliel **
Fadi Shamsin ***

(Received 5 / 12 / 2012. Accepted 15 / 7 / 2013)

□ ABSTRACT □

According to the balance of power concept, nations tend to unite for opposing hegemony. Therefore, for the leading position of the US and its ability to project power globally, there should be an opposite and equal reaction from the other emerging power centers**.** Since the collapse of the USSR, the hegemonic position of the United States has been unchallenged. However, there is a possibility that it might be counterbalanced in future by the growing political influence of emerging powers, like Russia and China, which have already succeeded in countering the US influence in some parts of Eurasia through the mechanism known as the Shanghai Cooperation Organization (SCO).

This study analyzes whether the SCO is an alliance directed against the United States and whether it has a potential to become a counterweight to the hegemony of the US. The results of this thesis research will show that the SCO is a regional alliance intended to restrain the political and economic influence of the United States in the post-soviet space.

Keywords : Shanghai Cooperation Organization (SCO), Central Asia, the balance of power.

*** Associate Professor , Department of International Political Relations , Faculty of Political Science , Damascus University , Damascus , Syria .**
****Assistant Professor, Department of International Political Relations , Faculty of Political Science, Damascus University , Damascus , Syria.**
*****Postgraduate Student , Department of International Political Relations , Faculty of Political Science, Damascus University , Damascus , Syria.**

مقدمة:

"السيناريو الأكثر سوء للولايات المتحدة الأمريكية هو الاحتمال الذي تواجه فيه ائتلافاً بين كل من الصين وروسيا وربما إيران".

زبغينيف بريجنسكي (رقعة الشطرنج العظمى)[1]

بالاستناد إلى نظرية توازن القوى، فإن القوى الدولية تميل إلى تشكيل التكتلات والاتحاد مع بعضها لمواجهة الهيمنة، ومن الطبيعي بعد ظهور الولايات المتحدة الأمريكية كقوة وحيدة مهيمنة على الشؤون الدولية أن تولد ردود فعل معاكسة من جانب القوى الدولية الأخرى لمواجهة هذه الهيمنة ومحاولة تطويقها.

وبالعودة إلى التاريخ العالمي، نرى أن التاريخ حافل بالأمثلة التي لجأت فيها قوى دولية إلى تشكيل تحالفات مع بعضها بعضا من أجل مواجهة هيمنة دولة واحدة، وأيضاً محاولات لدول صغيرة أو ضعيفة للتحالف فيما بينها لمواجهة هيمنة الدول الأقوى. كان التوازن الدولي خلال فترة الحرب الباردة بين القطبين المسيطرين الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي هو السمة الأبرز للنظام الدولي في هذه المرحلة. ومنذ تفكك الاتحاد السوفيتي ونهاية الحرب الباردة أصبحت الولايات المتحدة الأمريكية هي القوة الوحيدة المهيمنة على النظام الدولي دون أي منافس. ولكن، من الممكن أن تسعى بعض القوى الدولية الرافضة لأحادية القطب الأمريكية مثل روسيا والصين إلى خلق نظام دولي جديد في المستقبل المنظور يقوم على التوازن من خلال الثنائية أو التعددية القطبية، حيث نجحت هذه الدول في تأسيس تكتل إقليمي مناهض للهيمنة الأمريكية في بعض أجزاء أوراسيا (آسيا الوسطى) من خلال ما يسمى (منظمة تعاون شنغهاي SCO).

أهمية البحث وأهدافه:

تبرز أهمية البحث من خلال الدور السياسي والعسكري والأمني والاقتصادي الذي يمكن أن تلعبه "منظمة تعاون شنغهاي" في أوراسيا وبشكل خاص منطقة آسيا الوسطى. فهذه المنظمة تضم في عضويتها ست دول هي (روسيا- الصين- أوزباكستان- كازاخستان- قرغيزستان- طاجاكستان)، وتمتد هذه الدول على مساحة جغرافية متلاصقة تشكل حوالي 61% من مساحة أوراسيا، ويسكنها حوالي ربع سكان العالم، كما أن هذه المنظمة تضم في عضويتها دولتين من الدول التي تسعى لمنع الهيمنة الأمريكية على شؤون العالم هما روسيا والصين.

لذلك، فإنّ الهدف الرئيس لهذا البحث يتمحور حول أمر أساسي وهو دراسة احتمال أن تكون "منظمة تعاون شنغهاي" كتحالف قادر على خلق قوة موازية للولايات المتحدة الأمريكية، وذلك على الرغم من أنّ "منظمة تعاون شنغهاي" ليست تحالفا عسكريا، ولكن من المحتمل أن تتطور هذه المنظمة إلى المستوى الذي تكوّن فيه تكتلا سياسيا وربما عسكريا بين الدول الأعضاء لمنع التأثير السياسي والاقتصادي وربما العسكري للولايات المتحدة الأمريكية في قلب أوراسيا.

أسئلة البحث:

بالاستناد إلى أهمية البحث وأهدافه تبرز مجموعة من التساؤلات وهي:

1- هل سيؤدي تطور منظمة تعاون شنغهاي إلى تغيير في موازين القوى الدولية الراهنة؟

2- هل تمتلك "منظمة تعاون شنغهاي" المقومات والإمكانيات التي تؤهلها لمواجهة الولايات المتحدة الأمريكية؟

3- ماهي الأسباب والدوافع للتعاون الوثيق بين أعضاء "منظمة تعاون شنغهاي" من جهة، وبينها وبين الدول الأخرى المحيطة بها من جهة ثانية؟

فرضيات البحث:

للإجابة على التساؤلات السابقة لابد من وضع الفرضيات التالية:

1- إن تطور "منظمة تعاون شنغهاي" سيفرز نتائج جديدة ومهمة تعود بمجملها على تغيير ميزان القوى الدولي الراهن وبالشكل الذي يؤدي إلى نهاية عهد القطب الواحد المنفرد بالسلطة والهيمنة إلى صالح نظام آخر بدأت ملامحه في الظهور في منطقة تحظى بأهمية كبرى لدى دول العالم الأخرى ألا وهي منطقة آسيا الوسطى.

2- إن منظمة تعاون شنغهاي تمتلك المقومات السياسية والجغرافية والبشرية والاقتصادية والعسكرية التي تؤهلها لمواجهة الولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها الغربيين.

3- إنّ الدافع الرئيس لتأسيس منظمة تعاون شنغهاي هو شعور الدول الأعضاء في هذه المنظمة بضرورة التعاون فيما بينها لمواجهة التحديات المختلفة التي تواجهها.

منهجية البحث:

سوف يتم توظيف عدد من المناهج التي تتلاءم مع الموضوع، وهي:

1- منهج تحليل النظم: حيث وحدة التحليل الأساسية هي الدولة وحركتها الداخلية في إطار النظام الدولي في مدى زماني ومكاني معين, فتمت دراسة النظام بوصفه مكونا من مدخلات عملية صنع السياسة ومخرجاتها.

2- المنهج الوظيفي . البنائي: سوف يتم توظيف هذا المنهج لتوضيح العلاقات القائمة بين البنيات السياسية المكونة للنظام، وتلك التي يقيمها مع محيطه الخارجي.

الإطار النظري للبحث:

إنّ هذا البحث ينظر إلى منظمة تعاون شنغهاي كتحالف يهدف إلى تحقيق التوازن مع الولايات المتحدة الأمريكية، ولذلك من الضروري الاعتماد على نظرية توازن القوى، فأنصار هذه النظرية يرون أنّ الأحلاف هي عنصر من عناصر الاستقرار الدولي، لأن الأحلاف تزيد من التوازن بين الكتل الدولية بتحديدها الرسمي لالتزامات أعضاء الحلف. ويضرب هذا الاتجاه مثلاً بنظام الأحلاف الذي نظمه المستشار الألماني بسمارك في شكل سلسلة من المعاهدات الثنائية مع روسيا، والنمسا، والمجر، وإيطاليا، والذي نجح في خلق جو من الاستقرار السياسي في أوروبا خلال الفترة ما بين عامي 1873م – 1890م، بمجرد خروج بسمارك من السلطة وانهيار نظام الأحلاف البسماركي، انهار الاستقرار الأوروبي وحدث نوع من الاستقطاب الثنائي الذي سرعان ما أدى إلى نشوب الحرب العالمية الأولى[2].

لذلك سيتم النظر إلى "منظمة تعاون شنغهاي" ليس كتحالف أمني فقط، وإنما ستتم دراستها من خلال التصورات الواقعية في العلاقات الدولية وبشكل خاص نظرية توازن القوى والتي تعد إحدى النماذج الهامة للمدرسة الواقعية، وملخص هذه النظرية أن الدول تسعى إلى التحالف والتكتل مع بعضها البعض من أجل مواجهة الهيمنة التي تسعى إليها الدول الأخرى وهي في هذه الدراسة (الولايات المتحدة الأمريكية)، فالاستقرار في النظام الدولي من وجهة نظر المدرسة الواقعية يتحقق من خلال التوازن.

أولاً: نشأة منظمة تعاون شنغهاي وأهدافها

نشأت منظمة تعاون شنغهاي على إثر اجتماعات عديدة عقدت في أواسط التسعينيات من القرن الماضي بين ممثلين عن (روسيا – الصين – كازاخستان – قرغيزستان – طاجاكستان) بهدف حل مشاكل الأمن الإقليمي والخلافات الحدودية والاتفاق على إجراءات ثقة متبادلة في المجال العسكري. وقد توّجت هذه الاجتماعات بعقد اجتماع قمة في مدينة شنغهاي الصينية في نيسان عام 1996م أسفرت عن توقيع اتفاقية نتج عنها ما اصطلح على تسميته "خماسي شنغهاي". وقد نصت اتفاقية إنشاء مجموعة شنغهاي على إقامة منطقة منزوعة السلاح على طول الحدود بين الصين والدول الأربع الأعضاء، بالإضافة إلى التعهد بعدم قيام أي جيش من جيوش الدول الخمس بمهاجمة جيش دولة أخرى من الدول الأعضاء، كما حظرت الاتفاقية إجراء أي مناورات عسكرية تستهدف أياً من الدول الأخرى. وسبق هذا التوقيع توجيه نداء تاريخي من جانب الرئيس الروسي "بورس يلتسن" والصيني "جيانغ زيمين" في نيسان عام 1996م، دعا فيه إلى إنشاء "عالم متعدد الأقطاب لمواجهة الهيمنة الأمريكية المتزايدة على مقدرات النظام الدولي"[3]. وفي هذا الاجتماع تمّ الاتفاق على عقد اجتماعات قمة سنوية في عاصمة إحدى الدول الخمس. فانعقدت القمة الثانية في موسكو عام 1997م، والثالثة في آلما أتا عاصمة كازاخستان، والرابعة في بشكيك عاصمة قرغيزستان عام 1999م، وفي هذه القمة تمّ توسيع قضايا التعاون بين دول المجموعة لتشمل عدة مجالات أمنية، حيث تمّ الاتفاق على إبعاد القوات العسكرية على الحدود 300كم، وصدر عن هذه القمة ما سمي بـ "إعلان بشكيك" ، و الذي تضمن 12 بنداً يمكن تلخيصها بالنقاط التالية[4]:

1- مقاومة "الإرهاب" والانفصال والتطرف الديني، وتوقيع معاهدة خاصة لهذا الأمر.

2- توسيع التعاون الاقتصادي متعدد الجوانب والمستويات بين دول الخماسي، وضمان الأمن والاستقرار و السلام في جميع دول آسيا الوسطى.

3- تعزيز دور هيئة الأمم المتحدة، والوقوف ضد استخدام القوة أو التهديد باستخدامها دون موافقة مجلس الأمن الدولي.

4-الدفاع عن السلام في العالم، وبناء نظام اقتصادي وسياسي عالمي جديد عادل وعقلاني، و عد تعدد الأقطاب تطوراً طبيعياً للعالم المعاصر.

وكانت القمة الخامسة في دوشنبه عاصمة طاجيكستان عام 2000م حيث حضر الرئيس الأوزبكي إسلام كريموف هذه القمة كمراقب. وقد كان التحول الأبرز في "خماسي شنغهاي" في القمة المنعقدة بتاريخ 15حزيران عام 2001م بمدينة شنغهاي الصينية، حيث تمّ الإعلان عن إنشاء "منظمة تعاون شنغهاي" لتحل محل مجموعة "خماسي شنغهاي"، وذلك بعد أن انضمت إليها أوزباكستان كعضو كامل العضوية[5]. وبعد الإعلان عن إنشاء المنظمة، تمّ توقيع معاهدة الدفاع المشترك ضد الإرهاب الدولي والتطرف الديني والحركات الانفصالية، كما تمّ الاتفاق على إنشاء مركز إقليمي لمكافحة الإرهاب، على أن يكون مقره في بشكيك عاصمة قرغيزستان. وقد سيطرت على أعمال تلك القمة القضايا الأمنية حيث أكد رؤساء الدول الست أن التهديد الأساسي لأمن "آسيا الوسطى" ينبع من الحركات الانفصالية والإرهاب والتطرف الديني. وأهم ما نتج عن هذه القمة هو تعهد روسيا والصين بمساعدة دول آسيا الوسطى في مواجهة مشاكلها المتعلقة بالإرهاب والتدخل الأمريكي في هذه الجمهوريات.

وفي القمة المنعقدة في مدينة سانت بطرسبرغ الروسية في تموز 2002م، تمّ الإعلان عن ميثاق "منظمة تعاون شنغهاي" حيث حدد الميثاق أهداف هذه المنظمة و مبادئها ، ويمكن تلخيص الأهداف بما يلي[6]:

1- تعزيز الثقة المتبادلة وعلاقات الصداقة وحسن الجوار بين الدول الأعضاء.

2- تطوير التعاون في مختلف المجالات، وتعزيز الاستقرار والأمن والسلام في المنطقة.

3- مناهضة الإرهاب والتطرف الديني والنزعات الانفصالية التي تهدد الدول الأعضاء.

4- تشجيع التعاون الإقليمي الفعّال في المجالات السياسية والاقتصادية والتجارية والبيئة والثقافة والعلوم والتكنولوجيا والتربية على امتداد المنطقة.

أما أهم المبادئ التي قامت عليها المنظمة فهي:

1- الاحترام التام لسيادة واستقلال والسلامة الإقليمية للدول الأعضاء وعدم التدخل في شؤونها الداخلية أو اللجوء إلى القوة العسكرية من طرف أي دولة عضو في مواجهة دولة أخرى.

2- المساواة بين الدول الأعضاء، والتوصل إلى أرضية مشتركة على أساس التفاهم المتبادل.

3- تعزيز السلام وعدم الاختلاف بين الدول الأعضاء.

4- منظمة تعاون شنغهاي غير موجهة ضد أية منظمة دولية أخرى.

وفي اجتماع الذكرى السنوية الخامسة في عام 2006م، تمّ الإعلان عن مجموعة الإنجازات التي حققتها المنظمة، حيث أكد الإعلان أن منظمة تعاون شنغهاي تطمح إلى تحقيق الاستقرار الإقليمي في المنطقة ومواجهة التهديدات العالمية مثل (الإرهاب – التطرف الديني – النزعات الانفصالية). كما خاطب الإعلان الولايات المتحدة الأمريكية "بأنه من الضروري احترام التنوع الحضاري وأساليب التطور في العالم. فعلى مر التاريخ كان التطور يراعي الاختلاف في الثقافة والعادات والأنظمة السياسية والاقتصادية والقيم السائدة. ولذلك يجب عدم اتخاذ التطوير والتنمية كذريعة للتدخل في الشؤون الداخلية للدول الأخرى". حيث أكد الإعلان بوضوح "أهمية احترام السيادة". وأوضح أنّ "منظمة تعاون شنغهاي" تقف ضد التدخل في الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية للدول، وتسعى نحو تحقيق نظام متعدد الأقطاب للعلاقات بين الدول[7].

وكانت القمة العاشرة ل "منظمة تعاون شنغهاي" في 15 حزيران عام 2011م، في عاصمة كازاخستان بحضور رؤساء الدول الست الأعضاء، وحضور رؤساء إيران وباكستان وأفغانستان بصفة مراقبين، حيث خصصت معظم نقاشاتها لأفغانستان، وفي البيان الختامي الذي صدر عن القمة انتقدت المنظمة الدور الأمريكي في أفغانستان وقال البيان ""إن منظمة شنغهاي للتعاون تناضل من أجل أن تصبح أفغانستان دولة مستقلة ومحايدة ومسالمة ومزدهرة. وأن السلام والاستقرار في أفغانستان هما مفتاح الاستقرار الإقليمي والدولي". لقد اتسع نطاق التعاون في إطار منظمة تعاون شنغهاي ليشمل الميدان الاقتصادي والسياسة الخارجية والطاقة والنقل والبيئة والثقافة. وأيضاً التأكيد على حل النزاعات الإقليمية وتوحيد جهود هذه الدول لمناهضة الإرهاب والتطرف الديني والنزعات الانفصالية.

ثانياً: التغييرات الإستراتيجية في منظمة تعاون شنغهاي

لقد كانت أهداف منظمة تعاون شنغهاي التي أُسّست لأجلها، (مكافحة الإرهاب والتطرف الديني والنزعات الانفصالية) تتماشى مع السياسات الأمريكية في هذه المرحلة وبشكل خاص بعد أحداث الحادي عشر من أيلول 2001م، حيث وافقت الدول الأعضاء في منظمة تعاون شنغهاي بما فيها روسيا والصين على تقديم الدعم للحرب الأمريكية على الإرهاب في أفغانستان، فقد فضلت هذه الدول في تلك المرحلة التعاون مع الولايات المتحدة الأمريكية والتحالف الغربي في الحرب على الإرهاب.

في أكتوبر عام 2002م أجرت الصين وقرغيزستان مناورات عسكرية مشتركة في إطار منظمة تعاون شنغهاي لمواجهة الإرهاب. ومنذ عام 2003م اتفقت الدول الأعضاء في المنظمة على إجراء مناورات عسكرية مشتركة في إطار برنامج مكافحة الإرهاب في آسيا الوسطى. وفي السياق ذاته تمّ الاتفاق في القمة المنعقدة في طشقند بتاريخ حزيران عام 2004م، على التعاون في الصراع ضد الإرهاب، حيث قرروا تشكيل لجنة تنفيذية لمكافحة الإرهاب في إطار منظمة تعاون شنغهاي مقرها طشقند عاصمة أوزباكستان[8].

لقد بدأ التحول في سياسات وأهداف منظمة تعاون شنغهاي خلال أعمال القمة المنعقدة في عام 2005م، فمنذ تأسيسها شكلت منظمة تعاون شنغهاي إطاراً سياسياً وقانونياً متيناً لتقوية العلاقات الودية بين الدول الأعضاء، وبعد موقفها المناهض للإرهاب في المنطقة انتهجت دول المنظمة سياسة هادفة لمنع النمو المتزايد للتأثير الأمريكي في المنطقة وخصوصاً بعد الحرب الأمريكية على أفغانستان. حيث تمّ الإعلان خلال قمة 2005م عن مطالبة القواعد العسكرية الأمريكية بالانسحاب من أراضي أوزباكستان وقرغيزستان، وذلك لعدم وجود المبررات للوجود الأمريكي في المنطقة. وفي العام نفسه أجرت روسيا والصين مناورات عسكرية مشتركة تحت اسم "مهمة السلام 2005"، وشاركت فيها مختلف أنواع الأسلحة، وحوالي عشرة آلاف جندي. ولايمكن فصل هذه المناورات عن التوجهات الصينية – الروسية بشأن مستقبل النظام الدولي بشكل عام، ومنطقة آسيا الوسطى بشكل خاص، ويمكن القول إن هذه المناورات كانت تمثل نقطة البداية لسعي كل من روسيا والصين من أجل إعادة هيكلة النظام الدولي في الاتجاه نحو نظام متعدد الأقطاب[9].

ولم يكن هذا هو الحدث الوحيد في عام 2005 لإبراز وجود منظمة شنغهاي على الساحة كقوة إقليمية جديدة تعارض وترفض التواجد الأمريكي والغربي في آسيا الوسطى، ففي آب من العام 2005م كانت زيارة الرئيس الصيني هوجينتاو لموسكو ولقائه مع الرئيس الروسي آنذاك بوتين. والإعلان المشترك الصادر عنهما تحت عنوان "النظام العالمي في القرن 21" ليعكسا مدى ما وصلت إليه العلاقات بين البلدين في السنوات القليلة الماضية حتى أصبحت تتجاوز مباحثاتهما العلاقات الثنائية بينهما إلى بحث الأوضاع علي الساحة الدولية كلها ووضع تصور لنظام عالمي جديد يكسر حدة هيمنة القطب الأمريكي الأوحد، وبدت واضحة نية هاتين القوتين العظميين النوويتين روسيا والصين علي مواجهة الهيمنة الأميركية[10].

واستمر هذا الموقف المناهض للسياسات الأمريكية في قمة 2006م لمنظمة تعاون شنغهاي، حيث صرح الرئيس الأوزبكي إسلام كريموف أن "كل الدول الأعضاء في المنظمة متفقةً لمنع أية محاولة للتدخل الخارجي لفرض الديمقراطية والتنمية والتطوير حسب المعايير الغربية". كما أكدّ الرئيس الروسي فلاديمير بوتين على ضرورة "إيقاف التمدد والتأثير الأمريكي في المنطقة والاعتراف بمنظمة تعاون شنغهاي كمنظمة وحيدة للتعاون الإقليمي". وفي العام نفسه منحت المنظمة كل من إيران والهند وباكستان صفة أعضاء مراقبين[11].

أما الحدث العسكري الأضخم في العالم منذ الحرب العالمية الثانية، والمعارض للهيمنة الأمريكية فكان في عام 2007م، حيث أجريت مناورات بشكل متزامن في معظم أجزاء الدول الأعضاء في المنظمة. وهي الأجزاء التي تحاول الولايات المتحدة الأمريكية استخدامها والتغلغل عن طريقها لتهديد دول "منظمة تعاون شنغهاي"، فقد تم إجراء جزء من المناورات في إقليم شينجيانغ الموجود غرب الصين، وفي منطقة حوض نهر الفولغا ومناطق جبال الأورال الواقعة جنوب روسيا، والتي تمثل منطقة قلب روسيا الحيوي الذي تحاول الولايات المتحدة الأمريكية استهدافه عن طريق آسيا الوسطى. وذلك بحضور الرؤساء المشاركين في قمة دول المنظمة المنعقدة في قرغيزيا بشهر آب عام 2007م. وكان

هدف هذه المناورات إظهار القوة العسكرية المتزايدة للتحالف، بعدما أعلن قادة دول المنظمة في قمتهم – التي حضرها الرئيس الإيراني محمود أحمدي نجاد بصفة مراقب– رفضهم للهيمنة الأميركية، والسعي لعالم متعدد الأقطاب. وشاركت روسيا والصين بالعدد الأكبر من القوات البالغ تعدادها ستة آلاف جندي في هذه المناورات. وسبق هذه المناورات تدريبات عسكرية بدأت في الصين في 9آب عام 2007م، وشاركت فيها قوات دول المنظمة الست تحت عنوان "مهمة السلام 2007". وقد تحملت موسكو معظم تكاليف المرحلة التي شاركت فيها بتلك المناورات حيث أنفقت نحو 80 مليون دولار، فيما ساهمت بكين بنحو 1700 جندي وأرسلت مقاتلات ومروحيات إلى منطقة التدريب. وتعد هذه المناورات مؤشراً على مستوى جديد من التعاون العسكري بين روسيا والصين، بعد أن أجرى الطرفان أول مناورات مشتركة عام 2005م. وقد أعلن القائد الروسي الجنرال فلاديمير مولتينسكوي (أنّ الهدف من هذه المناورات مساعدة أعضاء المنظمة على مكافحة كل من "الإرهابيين المحليين والدوليين"). لكن جمعية الأمريكيين اليوغوريين – التي تتخذ من واشنطن مقراً لها وتدعم مسلمي اليوغور بالصين– قالت (إن حجم المناورات يشير إلى أنها تهدف إلى السيطرة على السكان المحليين "وليس مجرد مكافحة الإرهاب"). حيث تعد الصين وادي فرغانا في آسيا الوسطى "النقطة الرئيسية لزعزعة الاستقرار في المنطقة". فالصين تريد منع الاضطرابات التي جرت في أوزباكستان عام 2005م من الانتقال إلى إقليم شينجيانغ في المنطقة الشمالية الغربية من الصين، حيث تسعى أقلية اليوغور المسلمة في هذا الإقليم الحصول على الحكم الذاتي[12].

وواقع الأمر أنه لا يمكن فهم تلك المناورات بمعزل عن التوجهات الصينية الروسية بشأن مستقبل النظام الدولي بشكل عام، ومنطقة آسيا الوسطى بشكل خاص، فقد استطاع البلدان خلال السنوات الأخيرة خلق مجال للتعاون المشترك فيما يتعلق بالعمل على إعادة هيكلة النظام الدولي في الاتجاه نحو نظام متعدد الأقطاب، وطرح في هذا السياق تشكيل المحور الصيني الروسي كأساس لقطب موازٍ.

ولكن على الرغم من الطبيعة العسكرية لهذه المناورات، فإنه حسب الوثائق الرسمية للمنظمة ليس لها صفة تحالف أو اتحاد سياسي . عسكري. وحسب هذه الوثائق فإن الاتفاقات الرسمية تشمل مكافحة الإرهاب الدولي، والتطرف الديني، والجريمة المنظمة، والحركة غير الشرعية عبر الحدود (كالهجرة – تجارة المخدرات)، بالإضافة إلى ذلك فإنّ الهدف الرسمي للمنظمة تحقيق التعاون الفعّال في المجالات السياسية والاقتصادية والتجارية والطاقة والتكنولوجيا والثقافة.

وفي شهر تشرين الثاني عام 2011م، وعلى خلفية الاحتجاجات التي شهدتها العاصمة الكازاخستانية آلماآتا، عقدت "منظمة تعاون شنغهاي" اجتماعاً هاماً في مدينة سان بطرسبرغ الروسية، شارك فيه رؤساء الدول الأعضاء (روسيا والصين وكازاخستان وقرغيزستان وأوزبكستان وطاجكستان). حيث تركزت المناقشات حول خطة عمل المنظمة للأعوام العشرة القادمة، وتحديد مجالات التعاون المشترك بحيث تشمل: التعاون العسكري في مجالات أمن الحدود، والتنمية الاقتصادية والعلاقات الشعبية. وبسبب الاحتجاجات التي شهدتها منطقة الشرق الأوسط، وارتفاع وتيرة خطر الحركات الإرهابية المسلحة، ومخاطر التطرف الديني والثقافي، فقد أصبحت المنظمة أكثر اهتماماً في تحقيق التالي[13]:

1– إكمال إجراءات انضمام باكستان والهند إلى عضوية المنظمة، إضافة إلى دعم إيران على أمل إكمال انضمامها لعضوية المنظمة لاحقاً، وفي هذا الخصوص تجدر الإشارة إلى أن الدول الثلاثة: باكستان والهند وإيران، تتمتع حالياً بصيغة العضو المراقب في المنظمة.

2- النظر بالحثبان إلى التطورات الجارية في مسرح العنف السياسي . الديني في كل من أفغانستان وباكستان والهند، والتعاون من أجل احتواء تمدد فعاليات هذا العنف إلى دول آسيا الوسطى، وبالذات أوزبكستان، وطاجيكستان وقرغيزستان.

3- النظر بالحثبان لتأثير فعاليات الأطراف الخارجية وعلى وجه الخصوص الولايات المتحدة الأمريكية ودول حلف الناتو لجهة محاولات التغلغل إلى بلدان آسيا الوسطى بما يتيح إثارة الكراهية وتحريك الفعاليات السياسية المعادية لروسيا والصين.

إنّ انضمام الهند وباكستان إلى عضوية المنظمة، سوف يجعل من "منظمة تعاون شنغهاي" تمثل أكبر نادٍ نووي دولي، وذلك لأن المنظمة سوف تضم في عضويتها أربع دول نووية هي (روسيا – الصين – الهند – باكستان)، ولاحقاً إيران التي تسعى لامتلاك التكنولوجيا النووية لأغراض سلمية.

ثالثاً: التغير في السياسة الخارجية الأمريكية

على مدى الفترة ما قبل أحداث أيلول 2001م، كان تركيز السياسة الأمريكية في آسيا الوسطى ينصّب بشكل رئيس على قضايا موارد النفط والطاقة. إلا أن أحداث أيلول 2001م، قد غيرت أولويات السياسة الأمريكية في آسيا الوسطى، وأصبحت قضية الحرب على الإرهاب تحتل مرتبة الصدارة فيما يتعلق بمصالح الولايات المتحدة في هذه المنطقة، حيث ظهرت أهمية المنطقة من الناحية العسكرية. لقد وضعت أحداث أيلول 2001 بلدان آسيا الوسطى في قلب السياسة العالمية، وأعطت الولايات المتحدة الفرصة من أجل إعادة صياغة ميزان القوى في المنطقة، حيث وجدت الولايات المتحدة نفسها في قلب آسيا الوسطى وهي فرصة فريدة لم تكن لتحدث لولا أحداث أيلول.

وبالمقابل فقد نددت جمهوريات آسيا الوسطى الخمس بالهجمات على الولايات المتحدة وردت بشكل إيجابي على الطلبات الأمريكية للتعاون في الحرب على الإرهاب، حيث وجدت هذه البلدان الفرصة من أجل تطوير العلاقات مع الولايات المتحدة، فقد وافقت طاجكستان بعد تردد على استخدام أجوائها من قبل الطائرات الأمريكية، وسمحت أوزبكستان للقوات الأمريكية باستخدام قاعدة خان آباد الجوية، وفي كانون الثاني 2002م وافقت قرغيزستان على استعمال القوات الأمريكية للقاعدة الجوية في مطار بشكيك. كما وقعت واشنطن اتفاقات عسكرية مع طاجكستان وأوزبكستان من أجل استخدام قواعدها الجوية في الحرب، وكان ذلك بقبول روسيا التي التقت مصالحها مع مصالح الولايات المتحدة في القضاء على طالبان في أفغانستان، وفي الوقت نفسه أعلن وزير الدفاع الروسي سيرجي إيفانوف بشهر شباط 2002م "بأن هذه القواعد مؤقتة وستزول مع نهاية الحرب على الإرهاب". وامتنعت القوى الإقليمية عن معارضة الحضور الأمريكي في المنطقة بانتظار ما ستؤول إليه الأمور. وهنا نلاحظ أن الدول الأعضاء في منظمة تعاون شنغهاي قد فضلت التعاون مع الأهداف الأمريكية في الحرب على الإرهاب.

من خلال مراجعة استراتيجية الأمن القومي الأمريكي لعام 2002م، نلاحظ أن الولايات المتحدة قد أعطت أهمية متميزة لمسرح العمليات في آسيا، وهذا يعني حدوث تغير جذري في السياسة الدفاعية الأمريكية التي ظلت تركز منذ نهاية الحرب العالمية الثانية على مسرح العمليات الأوروبي بهدف منع اجتياح سوفياتي لدول غرب أوروبا أثناء الحرب الباردة. ويستند هذا التحول على أن هناك طائفة متنوعة من التهديدات والتحديات التي تواجه الولايات المتحدة الأمريكية في تلك المنطقة، يأتي في مقدمتها: النفوذ المتزايد لكل من الصين والهند، واحتمالات إعادة توحيد الكوريتين، والتوتر الهندي . الباكستاني، ووجود العديد من المنازعات الحدودية الإقليمية. وتركز السياسة الأمريكية الجديدة في آسيا

على عنصرين رئيسين هما: تطوير الوجود العسكري الأمريكي في آسيا، وبناء علاقات مشاركة شاملة مع الدول التي تمتلك قوات قادرة على التعامل مع الأزمات الإقليمية (كالهند والباكستان وتركيا وإسرائيل) وهناك أربعة مجالات رئيسة للتركيز الأمريكي على مسرح العمليات الآسيوي تتمثل في:

1- احتواء الصين: فعلى الرغم من افتقار الصين نسبياً إلى مقومات القوة العظمى، إلا أنّ مكانتها المتزايدة تعد الهاجس الأكبر أمام الفكر الاستراتيجي الأمريكي، باعتبارها الدولة المهيأة لأن تكون المنافس الأكبر على الصعيد الدولي في وقت لاحق للعديد من الأسباب الذاتية والموضوعية التي تحيط بالصين.

2- الحاجة إلى الاقتراب من المنطقة من أجل مراقبة التطورات في روسيا وجمهوريات آسيا الوسطى، سواء من أجل احتواء أي صراعات محتملة في المنطقة أو حتى استغلالها، أو للتعامل مع احتمالات وصول نظم حكم قومية متطرفة في تلك الجمهوريات.

3- الرغبة في المشاركة بعملية استغلال موارد بحر قزوين، الذي يثير قضايا عديدة بين الدول المطلة عليه، لاسيما تقاسم ثروات البحر النفطية، التي تحددها بعض التقديرات بحوالي 200 مليار برميل[14].

4- امتلاك القدرة على السيطرة على حركة التفاعلات الإستراتيجية في جنوب آسيا.

ومما ورد في إستراتيجية الأمن القومي الأمريكية لعام 2002م التأكيد على منع ظهور منافسين للولايات المتحدة على المستوى الدولي "إننا متنبّهون لاحتمال تجدد الأنماط القديمة من التنافس بين الدول العظمى. هناك الآن عدة دول عظمى محتملة تسير في خضم عملية تحول داخلية – وأهمها روسيا ، والهند ، والصين". وعن روسيا تقول الوثيقة " بدأنا مع روسيا في بناء علاقة إستراتيجية جديدة تستند إلى الحقيقة المركزية للقرن الواحد والعشرين: لم تعد الولايات المتحدة وروسيا عدوتين إستراتيجيتين. فمعاهدة موسكو لتخفيض ترسانة الأسلحة الإستراتيجية عام 1991 ترمز إلى هذا الواقع الجديد وتعكس تغيراً حاسماً بالتفكير الروسي يعِد بالقيادة إلى علاقات منتجة، وطويلة بين روسيا والمجموعة الأوروبية- الأطلسية والولايات المتحدة. لدى كبار القادة الروس تقييم واقعي لمواطن الضعف الحالي لبلادهم وللسياسات- الداخلية والخارجية- اللازمة لعكس اتجاه مواطن الضعف هذه. ويدركون بصورة متزايدة، أن أساليب الحرب الباردة لا تخدم مصالحهم القومية كما أن المصالح الإستراتيجية الروسية والأمريكية تتوافق في مجالات عديدة". وعن الصين تقول الوثيقة "تشكل علاقة الولايات المتحدة مع الصين جزءاً مهماً من استراتيجيتنا لتشجيع الاستقرار، والسلام، والازدهار، في منطقة آسيا- المحيط الهادئ. نرحب ببروز صين قوية، ومسالمة، ومزدهرة. ويعتبر التطور الديمقراطي للصين أمراً حاسماً لتحقيق مستقبلاً كهذا. رغم ذلك، وبعد انقضاء ربع قرن على بدء عملية التخلص من أسوأ مظاهر الإرث الشيوعي، لم ينتق القادة الصينيون حتى الآن مجموعة الخيارات الأساسية الإضافية حول طبيعة دولتهم. وفي سعيها لتأمين قدرات عسكرية متطورة تتيح لها تهديد جيرانها في منطقة آسيا- المحيط الهادئ، تتبع مساراً تخطاه الزمن مما سيعيق، في نهاية المطاف، سعيها لتحقيق العظمة القومية. سوف تجد الصين، بمرور الزمن، إن الحرية الاجتماعية السياسية هي المصدر الوحيد لتلك العظمة"[15].

رابعاً: العوامل والمقومات المتوفرة للمنظمة لمواجهة الهيمنة الأمريكية

إنّ البيانات الأساسية للدول الأعضاء في "منظمة تعاون شنغهاي" توضّح أنّ المساحة الإجمالية لدول المنظمة تبلغ 30 مليوناً و189 ألف كيلومتر مربع أي 3/5 من مساحة أوراسيا، مع عدد سكان يقدّر بحوالي 1,5 مليار نسمة أي 1/4 سكان العالم، فهذه المنظمة تضم في عضويتها ست دول أساسية هي (روسيا- الصين- أوزباكستان- كازاخستان- قرغيزستان- طاجاكستان)، وبإضافة كل من (إيران والهند وباكستان ومنغوليا) كأعضاء مراقبين، تصبح

المساحة الإجمالية 37 مليون كيلو متر مربع، وتمتد هذه الدول على مساحة جغرافية متلاصقة تشكل حوالي 61% من مساحة أوراسيا، كما أن هذه المنظمة تضم في عضويتها دولتين من الدول الكبرى التي تسعى لمنع الهيمنة الأمريكية على شؤون العالم هما روسيا والصين، وتضم أربع دول نووية هي روسيا والصين والهند وباكستان، إضافة إلى إيران التي تسعى إلى امتلاك التكنولوجيا النووية لأغراض سلمية. ويصل إجمالي الإنفاق الدفاعي لدول المنظمة إلى حوالي 120 مليار دولار سنوياً ، في حين يقدّر إجمالي القوات المسلحة لدول المنظمة بحدود 6 ملايين فرد[16].

لقد تجاوزت الطاقة الاقتصادية للدول الأعضاء في المنظمة 1.5 تريليون دولار أمريكي. وتبلغ قيمة المبادلات التجارية بين الدول الأعضاء في منظمة تعاون شنغهاي حسب إحصاءات عام 2008م حوالي خمسين بليون دولار أمريكي. وقد بلغ معدل النمو الاقتصادي لدول منظمة تعاون شنغهاي خلال السنوات الحالية معدل 6-8%. كل هذا يعطينا فكرة هامة حول الإمكانيات الاقتصادية لدول المنظمة. بالإضافة إلى التعاون بين الدول الأعضاء في مجال الطاقة والنقل وغيرها من المجالات[17]. ويبين الجدول رقم (1) أهم إمكانيات الدول الأعضاء في منظمة تعاون شنغهاي و مقوماتها .

إنّ "منظمة تعاون شنغهاي"، و من خلال احتمالات التوّسع في العضوية التي تدعو إليها المنظمة، وفي ظل وجود الصين كقوة اقتصادية متطورة، وروسيا كقوة عسكرية كبيرة، يمكن أن تحقق أهدافها التي أرستها في قمة شنغهاي عام 2001م، وأن تصبح منظمة إقليمية فاعلة على المستوى الإقليمي والعالمي.

فروسيا ترى في المنظمة أداة لتحقيق أهدافها الاقتصادية والجيوسياسية والاستراتيجية بعيدة المدى، فالصين تعد أكبر سوق تستورد السلاح الروسي حالياً وفي المستقبل المنظور أيضاً، كما تُعد دول آسيا الوسطى مصدراً لتأمين مواد الطاقة الرخيصة وسوقاً للسلاح وامتداداً جيوسياسياً لتطلعات استراتيجية مستقبلية، فضلاً عن أنّها تشكّل بالنسبة لروسيا فضاءً استراتيجياً لاستعادة التوازن الاستراتيجي مع الولايات المتحدة الأمريكية.

فقد أعلنت روسيا عن برنامج تسليحي حكومي طموح وضخم للفترة ما بين 2011 – 2020. وهو برنامج فريد في التاريخ الروسي المعاصر من حيث حجم التمويل. وبحسب البرنامج تبلغ الاعتمادات الإجمالية لإقتناء الأسلحة والمعدات الحربية للقوات المسلحة الروسية في السنوات العشر القادمة قرابة 700 مليار دولار، 80% منها لإنتاج وشراء الأسلحة الجديدة. فحتى عام 2020 من المقرر بناء 100 سفينة حربية، بينها 20 غواصة، وكذلك 600 طائرة مقاتلة وألف مروحية. والأولوية الرئيسية، في البرنامج الحكومي المذكور، لتطوير القوات النووية الإستراتيجية. فمن المقرر في السنوات العشر القادمة بناء 8 غواصات ذرية ستراتيجية مسلحة بصواريخ "بولافا" الباليستية العابرة للقارات. ومن المقرر أيضاً تجهيز 10 كتائب لأحدث المنظومات الصاروخية من طراز "أس- خمسمائة" التي ستغدو بمر الزمن أساساً لقوات الدفاع الجوي الروسي[18].

أما الموقف الصيني من إنشاء المنظمة كان مدفوعاً بعدة عوامل، وهي[19]:

1- تبحث الصين لدى روسيا عن الإمكانيات التي تزيد من قوتها العسكرية، بعد أن فرض الغرب حظراً على بيع الأسلحة الهجومية للصين في عام 1989م، بعد أحداث الميدان السماوي في الصين.

2- تحرص الصين على ضمان مواردها الحيوية، وضمان التعاون في مجال الطاقة حيث يوجد المخزون الصيني، وهناك مشروع لبناء خط أنابيب الغاز الطبيعي الذي يربط بين "اركونسك" في سيبيريا بالصين.

3- محاصرة الحركات السياسية الدينية التي ظهرت في الدول المجاورة للصين نتيجة ضعف الأنظمة الحاكمة فيها، والتي انتشرت في داخل الصين ذاتها، وبالذات في إقليم شينغيانغ شمال غرب الصين ذي الأغلبية الإيغورية المسلمة.

4- رغبة الصين في تحويل المنظمة إلى متراس في مواجهة التأثير والنفوذ المتصاعد للولايات المتحدة، فالاستثمارات الأمريكية في آسيا الوسطى تتفوق كثيراً على استثمارات الصين وروسيا، وخاصة في الدول الغنية بالبترول مثل كازاخستان، لذلك تحاول الصين العمل على تنفيذ خططها الاقتصادية في المنطقة، للحصول على مزيد من الاستثمارات للغرب الصيني الفقير. كذلك ترى في المنظمة أداة لتحقيق التوازن الاستراتيجي مع الولايات المتحدة الأمريكية مستقبلاً، فالصين تريد تعزيز وجودها في المنطقة، وهو ما تشجّعه دول آسيا الوسطى، بهدف الموازنة بين هذا الدور ودور الولايات المتحدة الأمريكية.

أمّا مواقف الدول الأربع الأخرى في المنظمة، فقد جاءت دوافعها متمثّلة في حلّ المشكلات الحدودية مع الصين، ومحاولة الاستقواء بروسيا لمواجهة مخاطر الحركات السياسية الدينية التي تدعمها بعض الدول المجاورة ، كحركة طالبان في أفغانستان، وكذلك مقاومة الحركات الانفصالية الداخلية في هذه الدول[20].

أما الهدف غير المعلن للدول الأعضاء في منظمة تعاون شنغهاي وبشكل خاص روسيا والصين والذي يجمع عليه كثير من المراقبين، هو العمل على قيام تعددية قطبية كتعبير عن رفض أحادية الولايات المتحدة الأمريكية في قيادة العالم.

جدول رقم (1) البيانات الأساسية لدول منظمة تعاون شنغهاي مجتمعةً مقارنةً مع الولايات المتحدة الأمريكية[21]

الدولة	المساحة كم2	السكان حتى تموز من عام 2013	الناتج الإجمالي (نهاية 2012)
روسيا	17مليون	142,500,482مليون	2.504تريليون
الصين	9,5 مليون	1,349,585,838 مليار	12.39 تريليون
كازاخستان	2,724,900	17,736,896 مليون	231.3 بليون
أوزباكستان	447,400	28,661,637 مليون	104.7 بليون
طاجيكستان	143,100	7,910,041 مليون	17.72 بليون
قرغيزستان	199,951	5,548,042 مليون	13.47 بليون
إيران	1,648,195	79,853,900 مليون	997.4 بليون
الهند	3,287,263	1,220,800,359 مليار	4.784 تريليون
باكستان	796,095	193,238,868 مليون	514.6 بليون
منغوليا	1,564,116	3,226,516 مليون	15.17 بليون
المجموع	37,131,020	3,049,062,179 مليار	19,256 تريليون
الولايات المتحدة الأمريكية	9,826,675	316,668,567 مليون	15,66 تريليون

المصدر: نرش، بشار. التنافس الدولي في آسيا الوسطى بعد انهيار الاتحاد السوفياتي، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم السياسية، جامعة دمشق، 2010م، ص190. بالإضافة إلى،

The World Factbook, 2013, https://www.cia.gov/library/publications/the-world-factbook/index.html

ملاحظة: المساحة مأخوذة من المصدر الأول أما بقية البيانات فتمّ الاعتماد على كتاب الحقائق العالمي لعام 2013 The World Factbook

أما بالنسبة إلى الولايات المتحدة الأمريكية فتُعّد في المرتبة الأولى عالمياً اقتصادياً وسياسياً وعسكرياً، فمن الناحية العسكرية لها انتشار واسع في معظم أرجاء العالم من خلال القواعد العسكرية المباشرة، وكذلك الأساطيل العسكرية البحرية المنتشرة في كل محيطات العالم. ومن الناحية السياسية هي الدولة المسيطرة على المستوى الدولي من خلال عوامل القوة التي تملكها، وهي تتحكم بدول العالم سياسياً من خلال سيطرتها السياسية على معظم المنظمات والتحالفات الدولية والإقليمية. ومن الناحية الاقتصادية هي الدولة الأولى عالمياً، فهي تحتل المرتبة الأولى عالمياً ولازالت في الناتج الإجمالي حيث بلغ 15,66 تريليون دولار في نهاية عام 2012، وجاءت بعدها الصين بناتج إجمالي 12,39 تريليون دولار في نهاية نفس العام. وبمقارنة الناتج الإجمالي لدول "منظمة تعاون شنغهاي" مع الناتج الإجمالي الأمريكي في نفس الفترة كما هو وارد في الجدول رقم (1) نجد أنه يتفوق على الناتج الإجمالي الأمريكي حيث بلغ 19,256 تريليون دولار، ولكن من الناحية الواقعية وعلى الرغم من هذه الأرقام فإنّ دول "منظمة تعاون شنغهاي" تفتقر إلى التعاون والتكامل الحقيقي في المجال الاقتصادي، وكل دولة من هذه الدول لها سياساتها الاقتصادية الخاصة بها ونظامها الاقتصادي المختلف، وبالتالي فإنّها لا يمكن أن تشكّل منافساً للولايات المتحدة الأمريكية مع بعضها بعضا من الناحية الاقتصادية[22]. ولكن من بين هذه الدول تبرز الصين كدولة تنافس الولايات المتحدة الأمريكية على زعامة الاقتصاد العالمي، بسبب معدلات النمو المرتفعة التي حققتها خلال المرحلة الأخيرة حيث بلغ معدل النمو الصيني 7.8 مع نهاية 2012، وهو يتفوق على معدل النمو الأمريكي في نفس الفترة وهو 2.2% مع نهاية عام2012، وكذلك الناتج الإجمالي الذي يتطور باستمرار ليقترب من نظيره الأمريكي[23]. ولذلك يمكن القول إنه في الوقت الذي تتجه فيه "منظمة تعاون شنغهاي" للتكتل من الناحية الاقتصادية فإنها تملك القدرات لمنافسة الولايات المتحدة الأمريكية اقتصادياً، ولكن طالما أنّ هدفها الأساسي لا يزال ينحصر في القضايا الأمنية والعسكرية أكثر من الاقتصادية فإنّ هدف تحقيق التوازن مع الولايات المتحدة الأمريكية اقتصادياً ليس في أولويات هذا المنظمة في المدى المنظور، وتبقى حالة الصين تعبيراً عن المنافسة الثنائية بين الصين والولايات المتحدة الأمريكية اقتصادياً، أكثر من تعبيرها عن المنافسة بين "منظمة تعاون شنغهاي" والولايات المتحدة من الناحية الاقتصادية.

خامساً: الفرص والتحديات التي تواجه "منظمة تعاون شنغهاي"

إنّ العلاقات الثنائية الروسية – الصينية، وعلاقات الولايات المتحدة الأمريكية مع كل من روسيا والصين من أهم التحديات التي تواجه "منظمة تعاون شنغهاي"، وهذا ما يتصف بمغزى في غاية الأهمية بالنسبة لتطوير علاقات الشراكة والتنسيق الاستراتيجية بين "دول منظمة تعاون شنغهاي". فأمريكا تنظر إلى كل من الصين و روسيا على حد سواء نظرة الخصم التي تجمع بين التقارب والاحتواء. ويجمع الصين وروسيا كثير من النقاط المشتركة تجاه أمريكا التي تشكل أساساً للتعاون والتنسيق بينهما، والأمور الأربع المشتركة بين روسيا والصين والأكثر جلاءً ووضوحاً هي[24]:

1- العلاقات بين أمريكا وبين كل من الصين و روسيا على حد سواء تعيش في حالة "اللا عداوة واللا صداقة" بحيث تقف أمريكا إزاء كل منهما موقفا يجمع بين التقرب والاحتواء.

2- تضع أمريكا روسيا في خانة الدول التي بحاجة إلى المزيد من الإصلاحات، في محاولة منها للوصول بالمعارضة الداعية للديمقراطية إلى سدة الحكم عن طريق انتخابات الدوما والانتخابات الرئاسية، في حين إن الولايات المتحدة تتخذ الصين كهدف من أهداف "التحول السلمي".

3- تقف كل من الصين و روسيا موقفاً رافضاً للتصرفات الأمريكية لبناء عالم أحادى القطب، وممارستها لنزعة التفرد والهيمنة، وتدعوان إلى بناء عالم متعدد الأقطاب والتأكيد على الدور الإرشادي لهيئة الأمم المتحدة في الشؤون الدولية.

4- تركز كل من الصين وروسيا اهتمامها وجهودهما على التنمية الاقتصادية، لذا فإنهما في حاجة إلى بيئة دولية سلمية وآمنة، وبحاجة إلى تطوير العلاقات الاقتصادية والتجارية والعلمية والفنية مع أمريكا بوصفها اكبر الكيانات الاقتصادية في العالم لجانب اجتذاب رؤوس أموالها، وليس التصادم معها.

وعلى أساس تلك النقاط المشتركة فان الصين تتخذ من روسيا شريكاً استراتيجياً هاماً، بينما روسيا تضع الصين كذلك في قائمة أوائل الدول التي يجب إنماء العلاقات معها وتطويرها. فمنذ أن أعلنت الدولتان عن سعيهما إلى "بناء علاقات شراكة وتعاون إستراتيجية لمواجهة تحديات القرن الحادي والعشرين" عام 1996م، ظلت علاقات التعاون الثنائي والتنسيق في المحافل الدولية تتسع وتزداد فعالية.

ولكن في الوقت الذي يجري فيه التعاون الصيني الروسي بشكل ممتاز، نجد أنه لا زال يتخلل العلاقات بينهما بعض الجوانب التي فيها عدم التوافق وعدم التنسيق الكافي تجاه العلاقات مع الولايات المتحدة. وتعود أسباب التباين في الموقفين الصيني والروسي إزاء العلاقات مع الولايات المتحدة الأمريكية إلى ما يلي[25]:

1- تباين البيئة الجيوسياسية المعاشة، وتباين المصالح الوطنية، وتباين التفكير والتكتيك إزاء بعض المواضيع المحددة التي تخص العلاقات بين كل منهما من جهة وأمريكا من جهة ثانية، يجعل من وجود تباين في مواقف وسلوكيات كل منهما حتميا لا مفر منه. فعلى سبيل المثال، من الطبيعي أن روسيا أكثر اهتماماً من الصين بالأوضاع المستجدة في منطقة كومنولث الدول المستقلة كمنطقة نفوذ تقليدية لها، بينما قضية تايوان التي تعد قضية محورية في العلاقات الصينية . الأمريكية، لربما لا توليها روسيا القدر نفسه من اهتمام الصين بها.

2- لأسباب تاريخية، فان عرى التعارف والتفهم والتفاهم والثقة المتبادلة بين الصين وروسيا لم تصل بعد إلى الدرجة المطلوبة. هناك بعض الروس الذين يصرون حتى يومنا هذا على رؤية مفادها أن التقارب الصيني – الأمريكي كان السبب الرئيسي وراء تفكك الاتحاد السوفياتى السابق، وتراودهم الشكوك بأن الصين لا زالت حتى الآن تسعى إلى مواجهة أمريكا على حساب روسيا. وأما بعض العلماء و الخبراء الروس فغالباً ما يفكرون بشكل رئيس، عند مناقشتهم للسياسة تجاه الصين، بكيفية اللعب بورقة الصين واستثمار وزنها أكثر من التفكير بكيفية تعزيز عرى التعاون الاستراتيجي معها وتحقيق الكسب المشترك. ومن جهة أخرى، فإن بعض العلماء الصينيين حساسون جداً من التقارب الروسي – الأمريكي[26]. فعندما تحسنت العلاقات الروسية – الأمريكية بوتيرة سريعة أعقاب أحداث الحادي عشر من أيلول 2001م، ساد القلق لدى هؤلاء العلماء حول عما إذا كانت هذه المتغيرات التي طرأت على العلاقات الروسية الأمريكية هي تغيرات ذات صفة استراتيجية أم تغيرات تكتيكية؟ وعما إذا كان ذلك سيؤدي إلى تحالف بينهما أم لا؟ وتفاقمت أزمة التفاهم والثقة لدى العلماء الصينيين تجاه روسيا بعد سماحها لأمريكا الانسحاب من اتفاقية الصواريخ المضادة, وموافقتها على نشر القوات الأمريكية في منطقة آسيا الوسطى.

3- السياسة التي تنتهجها أمريكا تجاه كل من روسيا والصين على حد سواء هي سياسة ثنائية مزدوجة أي تجمع بين التقارب والاحتواء، وهذا ما يدفع الصين وروسيا على انتهاج مواقف تجمع بين التعاون والصراع الذي لا يصل إلى حد القطيعة. ففي الوقت الذي تمارس فيه أمريكا سياسة الاحتواء وتضييق الخناق على روسيا، أبقت على حيز سياسي للتعاون معها في مجالات الأمن الاستراتيجي و مكافحة الإرهاب وحظر انتشار الأسلحة النووية وضرب

الجرائم عابرة الحدود. الخ، أي سياسة "الجزرة والعصا", سياسة الجمع بين الترغيب والترهيب. ويساور أمريكا قلق متزايد إزاء ما يمكن أن يشكله تعاظم الصين اليومي من تحديات إستراتيجية لها، فراحت تتخذ إجراءات احتوائية أكثر تشدداً تجاه الصين، فعلى سبيل المثال راحت تستميل اليابان لإشغال الصين بالمسألة التايوانية. في الوقت الذي تحافظ فيه على الاتصالات والتعاون مع الصين منطلقة في ذلك من الحرص على مصالحها الموضوعية، بل و راحت توسع دائرة التعاون الاقتصادي والتجاري معها كي تستحوذ بالمزيد من حصص السوق الصينية و تؤمن اكبر قدر ممكن من الأرباح التجارية. وهذا التقارب والتعاون بين الصين و أمريكا جعل روسيا تحتفظ بحيز من الخشية والحذر تجاه العلاقات الصينية . الأمريكية.

4- لا ترغب الصين وكذلك روسيا في التصادم المباشر مع أمريكا الدولة العظمى الوحيدة في عالم اليوم، وعليه فان كلا الدولتين راحت تتخذ, إلى درجة ما, تكتيك الابتعاد عن وهج الأضواء. وكل منهما تعمل على الاستفادة أكبر قدر ممكن من علاقاتها مع أمريكا، وتتفادى كل منهما قدر المستطاع أن تكون البادية في التصادم مع أمريكا قبل الأخرى حول بعض القضايا الحيوية والحساسة. هذا وقد أشار عالم روسي إلى أنّه "لا يصح أبداً أن تتسابق روسيا والصين على كتم النوايا وإخفاء المقاصد في موضوع العلاقة مع أمريكا[27].

إن هذا التباين وهذه المشاكل التي تعتري الموقفين الصيني والروسي في مجال العلاقات الثنائية من جهة والعلاقات مع أمريكا من جهة ثانية، قد تكون ناجمة عن عدم حسن التنسيق، وعدم التشاور الكافي بين الطرفين، وقد يعود بعضها الآخر إلى عدم وصول الثقة المتبادلة إلى المستوى المنشود، وإن ظهور مثل هذه الإشكاليات قد أضرت إلى حد ما بالثقة المتبادلة و أثرت في تطور علاقات الشراكة والتنسيق الاستراتيجية القائمة بين البلدين في إطار منظمة تعاون شنغهاي، وهذا ما يسترعي الاهتمام البالغ عند تناول المستقبل الإستراتيجي لهذه المنظمة.

سادساً: النتائج والمناقشة (الآفاق المستقبلية لمنظمة تعاون شنغهاي)

يتوقع لمنظمة تعاون شنغهاي أن تصبح أحد المحاور الاقتصادية والسياسية الهامة، وتعد المنظمة بداية تفاهم استراتيجي روسي – صيني لموازنة التوجهات الأمريكية، خاصةً في مواجهة النظام الدفاعي الصاروخي الذي تنوي الولايات المتحدة الأمريكية نشره في أوروبا الشرقية. و يعد ارتباط دول آسيا الوسطى بروسيا والصين في إطار "منظمة تعاون شنغهاي" مؤشراً على حسم السيطرة على المنطقة لصالح محور الصين . روسيا والتي بدأت منذ التسعينات، أي إنها ترسي أو ترسخ النفوذ الروسي . الصيني في المنطقة.

يرى أرييل كوهن، الباحث البارز في دائرة الدراسات الروسية والأوراسية في "هاريتيج فاونديشن"، الذي يقول إن "عودة الصين إلى حديقتها الخلفية في آسيا الوسطى بعد غياب دام ألف عام، وعودة روسيا إلى ممتلكاتها القديمة في الاتحاد السوفيتي السابق، يجب أن تدقا أجراس الإنذار في واشنطن، ليس فقط حيال وجودها في هذه المنطقة الغنية بالطاقة، بل أيضا إزاء مستقبل زعامتها العالمية[28].

وفي هذا الإطار، يمكن تحديد دور المنظمة وآثارها بعيدة المدى في النظام الدولي في نقطتين أساسيتين:

الأولى: هي النظر إلى المنظمة بوصفها محاولة صينية – روسية ، ورد فعل صيني– روسي للسياسات الأمريكية الرامية إلى احتوائهما، من خلال عدد من التحالفات الجارية في الأقاليم الآسيوية.

الثانية: هي النظر إلى المنظمة بوصفها إحدى عمليات إعادة هيكلة البنية الأساسية للنظام الدولي الراهن، وكجزء من عملية طويلة الأمد، تظل نتائجها النهائية مرهونة بشروط وتحولات إضافية مهمة على المستوى العالمي[29].

لقد كان الهدف الرئيس لهذا البحث دراسة إمكانية أن تكون منظمة تعاون شنغهاي قادرة على تحقيق توازن القوى مع الولايات المتحدة الأمريكية. حيث نلاحظ من خلال ما سبق أن منظمة تعاون شنغهاي حتى الآن لم تستطع أن ترتقي إلى المستوى الذي تكون فيه قادرة على تحقيق التوازن مع الولايات المتحدة الأمريكية على المستوى الدولي. وفي المقابل نلاحظ أن منظمة تعاون شنغهاي يمكن أن تكون كمنظمة قادرة على تحقيق التوازن السياسي والاقتصادي مع الولايات المتحدة الأمريكية على المستوى الإقليمي في آسيا الوسطى وباحتمال أقل التوازن العسكري من خلال المناورات التي تمّ إجراؤوها بين دول هذه المنظمة.

وقد تأسست "منظمة تعاون شنغهاي" بهدف خلق أجواء الثقة بين الدول الأعضاء وحل قضايا الحدود. ثمّ ما لبثت أن تحولت إلى منظمة دولية مؤثرة وديناميكية قادرة على تحقيق التطور في هياكلها المؤسساتية والتنظيمية. فالتطور المؤسساتي والتنظيمي لمنظمة تعاون شنغهاي سوف يؤدي مع مرور الوقت إلى بروز أهدافها بشكل أوضح، فإذا كان الهدف الاستراتيجي لهذه المنظمة هو تحقيق التوازن مع الولايات المتحدة الأمريكية فإن ذلك سينعكس على التطور المؤسساتي لمنظمة تعاون شنغهاي مع مرور الوقت. وسيؤدي إلى تغيير أولويات هذه المنظمة من المجال الاقتصادي والسياسي إلى المجال العسكري. وهذا ما ظهر واضحاً من خلال ارتفاع وتيرة التعاون العسكري بين دول المنظمة حيث أدى ذلك إلى ظهور مخاوف الدول الأخرى في الغرب من إمكانية تحوّل هذه المنظمة إلى تحالف عسكري.

لكن السؤال الأكثر أهمية يتمحور حول نقطة أساسية وهو، فيما إذا كانت روسيا وجمهوريات آسيا الوسطى مهتمة في تحقيق توازن جيوسياسي لمواجهة الهيمنة الأمريكية في المنطقة، أو أنها غير مهتمة. وأيضاً على الصعيد الداخلي للمنظمة نلاحظ أن روسيا لا تزال تبدي بعض القلق لتزايد النفوذ الصيني في منطقة آسيا الوسطى. كما أنه من المهم التأكيد على أن النخب السياسية الحاكمة في آسيا الوسطى، على الرغم من المناخ العام الرافض للهيمنة الأمريكية، فإنها ترى في الحضور الأمريكي في المنطقة ضمانة لتحقيق توازن القوى وعائق أساسي للهيمنة آحادية الجانب في المنطقة من طرف روسيا أو الصين. وبما أن الولايات المتحدة الأمريكية ما تزال القوة الوحيدة المهيمنة عالمياً سياسياً واقتصادياً فإنها لا تزال قادرة على التأثير في أي دولة عضو في منظمة تعاون شنغهاي، وفي الحالة التي تتحول فيها هذه المنظمة إلى تحالف عسكري مناهض للغرب، فإنّ الولايات المتحدة الأمريكية تملك القدرة لمنع هذا التحول أو إفشاله.

من خلال هذا البحث نلاحظ أن منظمة تعاون شنغهاي تمتلك مقومات اقتصادية وسياسية وجغرافية وبشرية كبيرة. فالعلاقات التجارية ومشاريع الطاقة ضمن إطار منظمة تعاون شنغهاي بما في ذلك الأعضاء المراقبين، كل ذلك يعني أنّ هذه المنظمة تمتلك القدرة الاقتصادية الكبيرة، وتجعل من جمهوريات آسيا الوسطى قادرة على تحقيق الاكتفاء الذاتي وتقليل الاعتماد على الولايات المتحدة الأمريكية، ولذلك فإنّ إحدى النتائج الهامة لهذا البحث هو أن منظمة تعاون شنغهاي تمتلك القدرة الاقتصادية الكبيرة لمواجهة التأثير الأمريكي في جمهوريات الاتحاد السوفيتي السابق. إنّ للصراع الجيوسياسي والجيواقتصادي على مصادر الطاقة والثروة في آسيا الوسطى تأثيرا كبيرا على منظمة تعاون شنغهاي واستراتيجياتها. فالاكتشافات الحديثة من الذهب والنحاس واللاتيوم في أفغانستان في شهر تموز 2010م، جعلت المنطقة أكثر أهمية وجاذبية للقوى الدولية. بالإضافة إلى التنافس الكبير على مصادر الطاقة الطبيعية في آسيا الوسطى. كل ذلك قد يدفع منظمة تعاون شنغهاي لأن تتحول من منظمة هدفها الحفاظ على الأمن الإقليمي إلى منظمة تسعى لتحقيق التوازن ومنع التأثير والتدخل الخارجي في المنطقة.

إنّ مسألة تطوّر منظمة تعاون شنغهاي إلى قطب دولي في مواجهة الولايات المتحدة الأمريكية يتوقف على إرادة ورغبة الدول الأعضاء في المنظمة لإمكانية تحقيق هذا الهدف، فالصين تعطي الأولوية الأولى للمجال الاقتصادي وتأمين الوصول إلى مصادر الطاقة في جمهوريات آسيا الوسطى، أما روسيا فإنها ترى في المنظمة مجالاً جيوسياسياً واسعاً لمواجهة الهيمنة الأمريكية في جمهوريات آسيا الوسطى، كما أن جمهوريات آسيا الوسطى تختلف أولوياتها باختلاف دولها، ولذلك يمكن القول إن الصعوبة الأساسية التي تواجه هذه المنظمة هي عدم وجود سياسة خارجية موحدة أو أهداف إستراتيجية مشتركة بين دولها. ولكن التحوّلات الأخيرة التي شهدها العامين 2011م – 2012م وقيام روسيا والصين باستخدام حق النقض الفيتو في مجلس الأمن الدولي مرتين متتاليتين خلال مدة لا تقل عن أربعة أشهر بما يخص سورية بهدف منع الاستفراد الأمريكي في القرار الدولي واستخدام مجلس الأمن كوسيلة للتدخل في الشؤون الداخلية للدول، بالإضافة إلى مجموعة المواقف الروسية والصينية الرافضة للسياسة الأمريكية في أكثر من مكان، وما سبق ذلك من مناورات عسكرية مشتركة بين روسيا والصين والدول الأعضاء في المنظمة. كل ذلك يظهر أن العالم يتجه نحو تحولات دولية جديدة قد تؤدي إلى تغيير موازين القوى القائمة لصالح نظام عالمي جديد ثنائي أو متعدد الأقطاب.

سابعاً: الخاتمة (الاستنتاجات والتوصيات)

إن النتائج النهائية لهذا البحث تظهر أن احتمال إمكانية تحوّل "منظمة تعاون شنغهاي" إلى تحالف يحقق التوازن مع الولايات المتحدة الأمريكية على المستوى العالمي، هو احتمال لا يزال حتى الآن ضئيلا وذلك للأسباب التالية:

1- الخلافات الحالية بين الدول الأعضاء في منظمة تعاون شنغهاي حول الأولويات ومهام المنظمة وأهدافها ، ولذلك فإنّ منظمة تعاون شنغهاي تفتقر إلى وجود أرضية مشتركة بين الدول الأعضاء حول إستراتيجية العمل لهذه المنظمة.

2- اقتصار عملياتها الأمنية على مشاريع (مكافحة الإرهاب والنزعات الانفصالية والتطرف الديني)، وقلة المصادر المالية للمنظمة حتى تكون قادرة على توسيع عملياتها الأمنية والعسكرية على مستوى أوسع.

3- عدم وجود إنجازات حقيقية لمنظمة تعاون شنغهاي في المجال الأمني، باستثناء المناورات التي تمّ إجراؤها بين الدول الأعضاء والتي تعطي أهمية للمنظمة على المستوى الإقليمي أكثر منه على المستوى العالمي.

لكن من الناحية الواقعية يمكن لمنظمة تعاون شنغهاي أن تكون تحالفا موازنا للولايات المتحدة الأمريكية على المستوى الإقليمي في آسيا الوسطى، فالأهداف التي أنشئت لأجلها هذه المنظمة والروابط الاقتصادية والإقليمية والدبلوماسية بين الدول الأعضاء فيها، وسلوك هذه المنظمة المعارض للهيمنة الأمريكية في جمهوريات آسيا الوسطى، واتجاهها لتشكيل نواة تحالف عسكري بين دولها الأعضاء، كل ذلك يشير إلى أن منظمة تعاون شنغهاي تتجه لتشكيل تكتل معارض للهيمنة الأمريكية، وما يدل على ذلك بشكل أدق مايلي:

1- معارضة منظمة تعاون شنغهاي للحضور العسكري الأمريكي في الفضاء السوفياتي السابق، ورفض بقاء قواتها وقواعدها العسكرية في جمهوريات آسيا الوسطى، فضلاً عن قيام المنظمة بقبول إيران كعضو مراقب فيها.

2- طموح الدول الأعضاء في المنظمة لتحقيق الاكتفاء الذاتي اقتصادياً، والقيام بمشاريع اقتصادية مشتركة تحقق النمو والتطور للدول الأعضاء فقط.

3- تطوير مشاريع الأمن المشتركة لحل مشاكل الأمن الإقليمي (الإرهاب والتطرف الديني والنزعات الانفصالية)، وطموح الدول الأعضاء في المنظمة لتحقيق الاستقلال عن البلدان الغربية في المجال الأمني.

4- إن الاختلاف بين الدول الأعضاء في منظمة تعاون شنغهاي من جهة، والولايات المتحدة الأمريكية من جهة أخرى، سواء فيما يتعلق بطريقة التفكير أو مفاهيم الإصلاح والديمقراطية، بالإضافة إلى الاختلاف حول أهداف السياسة الخارجية للولايات المتحدة، كل ذلك يعني أن منظمة تعاون شنغهاي والولايات المتحدة الأمريكية ستبقيان دائماً في مواقع متناقضة ومتعارضة.

5- الميل الواضح للدول الأعضاء في منظمة تعاون شنغهاي باتجاه منع التدخل السياسي والاقتصادي الغربي في شؤون هذه الدول.

6- إنّ الأرضية المشتركة للمشاكل الأمنية بين منظمة تعاون شنغهاي والولايات المتحدة مثل الإرهاب والتطرف الديني، لا تشكل أساساً استراتيجياً للتعاون بينهما في المستقبل. فالاختلاف في وجهات النظر بين الولايات المتحدة ومنظمة تعاون شنغهاي حول القضايا الأمنية تلعب دورا أساسيا في تحديد أولويات سياسة "منظمة تعاون شنغهاي" تجاه العالم الغربي، فمنظمة تعاون شنغهاي اختارت مفاهيم السيادة والمصالح الوطنية والحفاظ على تكوين الدولة في معارضة مفاهيم حقوق الإنسان والحرية والديمقراطية والكرامة الإنسانية كذريعة للتدخل في الشؤون الداخلية لهذه الدول.

إنّ أنصار نظرية توازن القوى يرون بأن هذا التحالف (منظمة تعاون شنغهاي) يمكن أن يصبح أكثر قوة في حال استمرت الولايات المتحدة الأمريكية في انتهاج سياسة أمنية عدوانية وأحادية الجانب. هم يرون بأن هذه السياسات ستؤدي إلى زيادة كلف العمليات العسكرية من جهة، وتقليل عدد الدول التي تسعى للتعاون مع الاستراتيجيات العسكرية للولايات المتحدة الأمريكية في المستقبل من جهة أخرى، وستكون نتيجة ذلك بأن يتحول هدف تحقيق التوازن من المجال السياسي والاقتصادي إلى المجال العسكري، وهذا ما ظهرت بوادره في عامي 2005م، 2007م، من خلال المناورات العسكرية لمنظمة تعاون شنغهاي.

وترغب جمهوريات آسيا الوسطى وروسيا والصين في أن يكون لها نظامها الأمني الخاص بها والمستقل عن العالم الغربي، وذلك لمنع الهيمنة الآحادية الجانب من طرف الولايات المتحدة الأمريكية في الفضاء السوفياتي السابق. فالمشاريع الاقتصادية والسياسية والأمنية المشتركة للدول الأعضاء في منظمة تعاون شنغهاي تظهر أن هذه المنظمة قادرة على تسوية وحل مشاكلها الداخلية بدون تدخل من جانب الولايات المتحدة الأمريكية. وعلى الرغم من ذلك، لا يمكن عد منظمة تعاون شنغهاي تحالفا عسكريا يهدد مكانة الولايات المتحدة الأمريكية. ولا يمكن مقارنتها بأحلاف قائمة أو سابقة مثل حلف الناتو أو حلف وارسو، وهي غير قادرة على مواجهة الولايات المتحدة على المستوى العالمي. لكن هذه المنظمة تسير باتجاه تحقيق التوازن السياسي والاقتصادي مع الولايات المتحدة ومعارضة السياسات والخطط الأمريكية على المستوى الإقليمي.

الملحق رقم (1) الدول الأعضاء في منظمة تعاون شنغهاي

الدول الأعضاء	الدول المراقبين	الضيوف
روسيا	إيران	أفغانستان
الصين	الهند	تركمانستان
كازاخستان	باكستان	كمنوولث الدول المستقلة
أوزباكستان	منغوليا	
طاجاكستان		
قرغيزستان		

الملحق رقم (2) القمم المنعقدة لمنظمة تعاون شنغهاي

تاريخ القمة	البلد	مكان الانعقاد
2001	الصين	شنغهاي
2002	روسيا	سان بطرسبرغ
2003	روسيا	موسكو
2004	أوزباكستان	طشقند
2005	كازاخستان	أستانا
2006	الصين	شنغهاي
2007	قرغيزستان	بشكيك
2008	طاجكستان	دوشنبة
2009	روسيا	كترنبورغ
2010	أوزباكستان	طشقند
2011	كازاخستان	أستانا

المراجع :

1- بريجنسكي، زبغينيف. *رقعة الشطرنج العظمى (التفوق الأمريكي وضروراته الجيواستراتيجية)*، ط4، دار علاء الدين، دمشق، 2008م، 54.

2- السيد سليم، محمد. *تحليل السياسة الخارجية*، ط2، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1998م، 570.

3- محمد جمعة،علاء. *"منظمة شنغهاي" آفاق التعاون الأمني الجديد في آسيا*. مجلة السياسة الدولية، القاهرة، العدد147، يناير 2002م، 136.

4 -*"SCO Bishkek Declaration"*, 22/11/2011. < http://www.scosummit2007.org/docs/67/>

5 - *'Shanghai Cooperation Organization Summit 2007'*, 1/2/2012 <http://www.scosummit2007.org/about_sco/>

6 -> *"SCO Charter"*, 22/11/2011. < http://www.scosummit2007.org/docs/7/

7 -*"SCO's Fifth Anniversary Declaration"*, 22/11/2011. < http://www.scosummit2007.org/docs/8/>

8 -*"Tashkent Summit marks new phase for SCO", China Daily*, 06/18/2004/< www.chinadaily.com>

9- *دلالات المناورات الروسية – الصينية*، الأهرام، القاهرة، العدد 43358، تاريخ 2005/8/22م، <www.ahram.org.eg>

10- ألكسندروفتش، ليونيد. *التسلح الروسي المتضخم الهائل وتحالف شنغهاي ينتظران اكتمال استنزاف النيتو في أفغانستان*، 2011/10/18م. <http://arabic.rt.com/prg_panorama/65458/video/>/

11 -*See the official website of the SCO*. 22/11/2011. < http://www.scosummit2007.org/about_sco/>

12- *مناورات عسكرية لمنظمة شنغهاي ومعارضة للهيمنة الأميركية*، تاريخ النشر 18آب 2007م، المصدر أرشيف الأخبار العربية، 10/ 10/ 2011م. <http://www.news-bank.net/results.aspx

13- *إستراتيجية دول منظمة تعاون شنغهاي في مؤتمرها القادم*، قناة العالم الإخبارية، 11تشرين الثاني 2011م، 2012/2/1م.
http://www.alalam.ir/news/831024>

14- *إستراتيجية الأمن القومي للولايات المتحدة الأمريكية (نص التقرير الذي وجهه الرئيس بوش إلى الكونغرس)*، مركز الدراسات والمعطيات الإستراتيجية، دمشق، 20أيلول 2002م، ص37.

15- المرجع السابق، 39-40.

16- مظلوم، جمال. *" التعاون الصيني – الروسي في إطار منظمة شنغهاي"*، مجلة السياسة الدولية، القاهرة، العدد 164، نيسان 2006م، 62

17 - JAMANKULOV, J.M, *"Shanghai Cooperation Organization: Aspects of Education"* , *Information Analysis Centre of Kyrghyzstan,* 3 may 2007

18- ألكسندروفتش، ليونيد. *التسلح الروسي المتضخم الهائل وتحالف شنغهاي ينتظران اكتمال استنزاف النيتو في أفغانستان*، مرجع سابق.

19- جمعة محمد، علاء. *" منظمة شنغهاي آفاق التعاون الأمني الجديد في آسيا "*، مرجع سابق، ص138.

20- جمعة محمد، علاء. المرجع السابق، 138.

21- نرش، بشار. *التنافس الدولي في آسيا الوسطى بعد انهيار الاتحاد السوفياتي*، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم السياسية، جامعة دمشق، 2010م، 190.

22 -*The World Factbook*, 2013, https://www.cia.gov/library/publications/the-world-factbook/index.html

23- المرجع السابق.

24- إكس جو، وانغ. *"العلاقات الصينية – الروسية في ميزان العامل العسكري"*، المركز العربي للمعلومات، دراسات إستراتيجية، 24/5/ 2010م، http://www.arabsino.comarticles10-05-242484.htm

25- المرجع السابق.

26- المرجع السابق.

27- المرجع السابق.

28 - COHEN, A. *Competition over Eurasia: Are the US and Russia on a collision course?*. Heritage Foundation, 2005

29- فايز فرحات، محمد. *"هل تتحول منظمة شنغهاي إلى حلف شرق أوسطي"*، مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية، القاهرة، ملف الأهرام الاستراتيجي، 12/1/ 2011م.
<www.ahram.org.eg/acpss/ahram/1/1/2001>